

خطبه الجمعة - الخطبة ٠١٠١ : الطاعة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٥-١٠-٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ، ولا اعتصامي ، ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً برُبوبيّته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيّد الخلق والبشر ما اتّصلت عين بنظر ، وما سمعت أذنٌ بخبر  
اللهم صلّ وسلم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدّنا علماً ، وأرنا الحقّ حقّاً وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الاستقامة وخيراتها

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في أواخر سورة الأعراف ، وفي الآية الثالثة والأربعين بعد المئة ، يقول الله عز وجل :

( قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ )

[سورة الأعراف الآية: ١٤٤]

إلى هنا تنتهي مهمّة العبد في الدنيا ؛ أن يُطيع الله عز وجل ، وأن يشكر النعم الكبرى التي سوف تلي طاعته لربّه .

في آية أخرى ، قال تعالى :

(بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)

[سورة الزمر الآية: ٦٦]

النبى عليه الصلاة والسلام يقول : استقيموا ولن تحصوا ، بعض شارحي الحديث قال : لن تُحصوا الخيرات التي تأتيكم من الاستقامة ، فكأنّ العبد في الدنيا عليه مهمّة واحدة ؛ أن يُطيع الله فيما أمره ، فإذا أطاعه فيما أمره جاءت الخيرات من كلّ مكان ، ووقّفه الله في كلّ ميدان ، وأصحّ له جسمه ، ورزقه زوجةً سالحة ، وأولاداً أبراراً ، ورزقاً موسّعاً ، وهُدًى ، وتقى إذا أطاع الله عز وجل جاءت الخيرات ، فماذا بقي عليه ؟ أن يشكره على هذه النعمة ، قال تعالى :

( قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ )

[سورة الأعراف الآية: ١٤٤]

قال تعالى :

**(بَلِ اللّٰهَ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِينَ)**

[سورة الزمر الآية: ٦٦]

رَحِمَ اللهُ عَبْدًا عَرَفَ حُدَّهُ فَوْقَ عِنْدِهِ ، وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ ، وَمِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ ، طَوْبِي لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عِيُوبِ النَّاسِ ، طَوْبِي لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عِيُوبِ النَّاسِ ، فَيْكَ يَا فُلَانِ خَصَلْتَانِ يَحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ ؛ السَّمْحُ وَحَسَنُ الْخَلْقِ .

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ ؛ إِنَّ الَّذِي يُطِيعُ اللهُ عِزٌّ وَجَلٌّ يَعْرِفُ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ تَأْتِيهِ الْخَيْرَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، يَرْزُقُهُ اللهُ رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا مَبَارَكًا ، وَيَسْعُدُهُ فِي بَيْتِهِ ، وَفِي عَمَلِهِ ، وَفِي صِحَّتِهِ ، يَطْمَئِنُّهُ ، وَيَتَجَلَّى عَلَى قَلْبِهِ بِالرَّحْمَةِ ، وَبِالسَّكِينَةِ ، وَيَشْعُرُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَسْعَدُ مِنْهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَتَقَى مِنْكَ ، قَالَ تَعَالَى :

**(بَلِ اللّٰهَ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِينَ)**

[سورة الزمر الآية: ٦٦]

قال تعالى :

**( فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِينَ )**

[سورة الأعراف الآية: ١٤٤]

إِلَى هُنَا تَنْتَهِي حُدُودُ الْعَبْدِ ، إِذَا وَقَّعَ الْعَبْدُ إِلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى ، فَقَدْ وَقَّعَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِذَا تَاهَ عَنِ طَاعَتِهِ فَقَدْ ضَاعَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ ، ابْنُ آدَمَ أَطْلَبْنِي تَجِدْنِي ، فَإِذَا وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَإِنْ فَتَكَ فَاتَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، قَالَ تَعَالَى :

**(وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)**

[سورة الأعراف الآية: ١٤٥]

عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَأْخُذَ أَوْامِرَ اللهِ عِزٌّ وَجَلٌّ بِقُوَّةٍ ، عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَهَا بِحَزْمٍ ، عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَهَا بِإِخْلَاصٍ ، لِأَنَّهُ يَعْرِفُ مَا عِنْدَ اللهِ عِزٌّ وَجَلٌّ مِنْ عَطَاءٍ كَبِيرٍ ، وَمِنْ ثَوَابٍ عَظِيمٍ ، وَمِنْ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، أَعَدَّتْ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

## الأخذ بأحسن الأعمال

قال تعالى :

**(وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا )**

[سورة الأعراف الآية: ١٤٥]

هل في كتب الله عز وجل ، هل في التوراة ، وهل في الإنجيل ، وهل في القرآن شيءٌ حسن ، وشيءٌ غير حسن ؟ حتى أنّ الله سبحانه وتعالى كليمه موسى أن يأخذوا بأحسنها ؟ قال المفسرون : إذا أمرنا الله عز وجل بطاعته ، ونهانا عن معصيته ، معنى الأخذ بأحسنها أن نُطيعه ، إذا أمرنا بأكل الطيبات ، ونهانا عن لحم الخنزير ، وشرب المسكرات ، فالأخذ بأحسنها أن نأكل الطيبات ، وأن ندع الخبائث ، قال تعالى :

**( فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَاأَخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ )**

[سورة الأعراف الآية: ٤٥]

وهذه آية متكررة ، ومستمرة إلى آخر الدوران ، تتبّع دار الفاسقين ، ودار العصاة ، ودار المنحرفين ، ومصيرهم ، ونهايتهم ، وخاتمهم ، تراهم قد خسروا الدنيا والآخرة ، تراهم قد حبط عملهم ، وسقطوا ، وفرغوا ، وأصابهم الله بعداب الخزي والعار في الدنيا والآخرة ، سأريكم دار الفاسقين والعاقبة للمتقين ، قارن بين هاتين الآيتين ؛ العاقبة للمتقين وسأريكم دار الفاسقين ، قال تعالى :

**( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ )**

[سورة الأنعام الآية: ١١]

وبعدها يقول الله عز وجل :

**( سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ )**

[سورة الأعراف الآية: ٤٦]

هؤلاء الذين يستعلون من دون حقّ ، على أيّ شيء يتكبرون ؟ على أنهم ضعاف ، لو منعوا الماء لماتوا ، ولمنعوا إخراجهم لشروه بملكهم ، على أيّ شيء يتكبرون ؟ على أنّ الله سبحانه وتعالى خلق لهم أجهزة دقيقة فلو تعطل إحداهما لما كان للحياة كلها في نظرهم ، قبل أيام قرأت مقالة عن الكلية ، قال : إذا توقفت الكلية توقفاً مفاجئاً ، وهذا المرض كثير الانتشار في هذه الأيام ، هبوط مفاجئ في وظائف الكليتين ، ماذا يحدث ؟ يتراكم حمض البول في الدم إلى درجة أن يفقد الإنسان إمكاناته ، تضعف ذاكرته ، ويتوتر توتراً شديداً ، يغضب لأنفه الأسباب ، يحطم الأثاث في البيت تتغير أطواره ، تتورم جفونه ، يزداد السائل في جسمه إلى أن يُصقى دمه في كلية اصطناعية ، ويبقى تحت الجهاز أربع ساعات ، ولا بدّ من تصفية الدم في الأسبوع ثلاث مرّات ، ويخسر من وزنه خمس كيلو غرامات ، عندئذ يستعيد نشاطه وتوازنه ، ماذا يملك الدنيا ؟ لو أنّ هذه الكلية تعطلت هذا الذي يتكبر على ماذا ؟ لو أنّ الكلية تعطلت لانقلبت الحياة إلى جحيم ولتمتى صاحبها الموت ، قال تعالى :

**( سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا )**

[سورة الأعراف الآية: ٤٦]

يرى الشمس والقمر ، ويرى خلق السماوات والأرض ، والليل والنهار ، والنباتات كل عام مرة ، وفصل الربيع ، وكيف أن الحياة في الأشجار والنباتات ، ويرى فصل الخريف وكيف تتساقط الأوراق ، يرى خلقه من خلال ابنه ، يرى كأس الحليب ، والطعام والشراب ، وهو يعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى خلق كل هذا له ، قال تعالى :

(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا )

[سورة الأعراف الآية: ٤٦]

سبيل الاستقامة ، والطهر ، والعفاف ، والصدق ، والعفة ، لا يتخذوه سبيلاً قال تعالى :

( وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا )

[سورة الأعراف الآية: ٤٦]

الأساليب الملتوية ، الغش في البيع والشراء ، الأيمان الكاذبة ، المكر والخديعة ، هذا كله يتخذوه سبيلاً ، قال تعالى :

( وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ )

[سورة الأعراف الآية: ٤٦]

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ أطيعوا ربكم ، واتبعوا سبيل الرشد ، قبل أن تأتي ساعة لا ينفع فيها الندم ، قال تعالى :

( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا )

[سورة الفرقان الآية: ٢٧]

ويوم يقول الإنسان :

( حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ )

[سورة المؤمنون الآيات: ٩٩-١٠٠]

قال تعالى :

( تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ \* أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنثَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \* قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ \* قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ \* إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \* فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ )

[سورة المؤمنون الآيات: ١٠٤-١١٠]

شيء آخر ، وآيات أخرى في آخر الأعراف ، يقول الله سبحانه وتعالى :

( وَاکْتُبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ )

[سورة الأعراف الآية: ٥٦]

استنبط العلماء من هذه الآية أنّ على الرجل المسلم أو المؤمن أن يدعوا الله عز وجل وأن يطلب من الله دنيا فيها راحة ، وفيها بحبوحة ، وصحة ، وسمعة طيبة ، وزوجة صالحة ، وأولاد أبرار ، اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ، قال تعالى :

**(وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)**

[سورة البقرة الآية: ٢٠١]

قالت يا أبت أعرف حسنة الآخرة فما حسنة الدنيا ؟ قال : يا بنيّتي ، الزوجة الصالحة ، الدنيا كلها متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة التي إذا نظرت إليها سرّتك ، وإذا غبت عنها حفظتك ، وإذا أمرتها أطاعتك قال تعالى :

**(وَاطْمَئِنُّوا بِالْحَنَانِ رَبَّنَا إِنَّ هَذِهِ دُنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا عَلَيْكُمْ)**

[سورة الأعراف الآية: ١٥٦]

أي إنّنا رجعنا إليك ، قال تعالى :

**( قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ )**

[سورة الأعراف الآية: ١٥٦]

العذاب الأليم ، والمهين ، والشديد ، والعظيم ؛ هذه كلها صفات وردت في العذاب في القرآن الكريم ، قال عذابي أصيب به من أشاء بمعنى أنّ عدالتي وحكمتي تجتمعان في مشيئتي ، ورحمتي وسعت كلّ شيء ، فانه تعالى خلق الخلق كلّهم لإسعادهم ، رحمتي شملت الخلق جميعاً ، وليس هناك أناس خلقهم لأشقيهم ، وليس هناك أناس خلقهم لأعذبهم ، كلّ العباد خلقوا من أجل رحمتي ، قال تعالى :

**(إِنَّمَا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)**

[سورة هود الآية: ١١٩]

قال تعالى :

**(قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)**

[سورة الأعراف الآية: ١٥٦]

ولكنّ هذه الرحمة التي وسعت كلّ شيء لها ثمن ، ومبذولة لكلّ الناس ، ولكن لمن يدفع الثمن ، لن تحجب الرحمة عن أناس دون أناس ، لكنّها متاحة لكلّ مخلوق شرط دفعه الثمن ، ما ثمنها ؟ قال تعالى :

**(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)**

[سورة الأعراف الآية: ١٥٦]

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

## والحمد لله رب العالمين

\*\*\*

### الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم .

### الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإقتار ، فנסأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذنم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء .  
اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا شر الأعمال لا يصرفها عنا إلا أنت .

## والحمد لله رب العالمين